في الايمان وحلاوة نير الرب . ومنهم من يصبغ فيه البيض الوانًا وهو بيض الفصح الذي مرَّ ذكره كاحد رموز القيامة (المشرق ٩ : ٣٤٥) . واخبر ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٦) انَّ اقباط مصر «كانوا يكتحلون في صبيحة ذلك اليوم بالسذَّاب او الكحل الاسود او غيرهما ويزعمون انَّ من اكتحل من ذلك يكتسب نورًا زائدًا في بصره» . ومن عادات النصارى المحمودة انَّهم اليوم اذا صادفوا بعضهم يسلِّم الواحد على رفيقه بقوله : «قد قام المسيح» فيجيبهُ الآخر: «حقًّا قام» . وتدوم هذه افراح القيامة الى يوم عيد الصعود والمسيحيون في ذلك الوقت ينعشون ايمانهم بالقيامة العتيدة ورجاء الحياة الخالدة في السماء لعلمهم بأنَّ المسيح قد قام وهو باكورة الراقدين كما قال القديس بولس وانَّ موتهم ليس هو غير رقاد مثل موته سوف يتمُّ يومًا بقيامة اجسادهم ليلبس الفاسد عدم الفساد والمائت عدم الموت فيكسرون كفاديهم شوكة الموت كما كسروا شوكة الخطيئة بعبادهم وبرّهم . فشكرًا لله الذي منحنا الغلبة بربنا يسوع المسيح (١ كورنتوس ١٥ : ٥٧)

السنّ او آثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة

لحضرة الاب الفاضل انستاس الكرملي

١ مقدمة

ان ايدي الزمان التي تعبث باحوال بني آدم وبآثارهم ومآثرهم قد لعبت ايضًا ببعض ابنية بغداد حتى انهُ يكاد يستحيل اليوم على الباحثين والعلماء المولعين بالآثار الوقوف على معاهد دار السلام في سابق الايام لو لم يبقَ بعض المقابر والمشاهد الدينيَّة التي حافظ اهل التقى عليها لاختلافهم اليها يومًا بعد يوم وسنةً بعد سنة وبواسطتها نستطيع ان نهتدي الى ما اندرس في بغداد من عمائرها السابقة

ومما يستوقف أنظار الانتظار ويستلفت شريد الأفكار انقاضٌ واقعة على ضفَّة دجلة في الكَرْخ يعني في الجانب الغربي بإزاء ما هما اليوم دارا قنصليَّتَي فرنسة والمانية وما بينهما الواقعتين على ضفَّة دجلة في الرُصافة اي في الجانب الشرقيّ من المدينة الزَوراء وهذه البقايا تُعرف اليوم باسم «السِنّ» وسبب تسميتها ظاهر وذلك انها تتقدَّم في دجلة وتقع فيه موقع السنّ من فم الانسان . وكل من رأى السنّ من الاجانب حكم

انهُ من اطلال ابنية العبّاسيين والسبب هو ان هذا الرسم الباقي مبنيٌ بموادَ لا تُعرف اليوم. اجزاؤها بالتحقيق. وهذه الموادَ قد جمعت بين الآجرّ والآجرّ حتى صارت كلهـا كانها حجر واحد ضخم لا بل صخرة صَلْد. واذا حاول الرجل ان يستخرج منها بحوّلهِ طابقةً واحدةً لما امكنهُ ان يستلّها سالمة بل لا بُدّ ان تخرج متفتّتةً لاستحكام اجزاء مطامس البناء واخذ جواهر بعضهِ بجواهر البعض الآخر على ما قدّمناهُ

هذا وفضلًا عن شهادة الاجانب تواتر تقاليد ابناء الوطن فانهم هم ايضاً يقولون ان هذه الرُدُوم هي من دوارس مباني العبّاسيين لكنهم لا يستطيعون ان يقولوا بالتدقيق ما التي كانت عليهِ في سابق الزمن. ولمّا كنتُ قد توفّقت الى معرفة ذلك جئتُ اتحف اصحاب الآثار وحبي مآثر العبّاسيين هذا الكشف والله الموفّق الى سواء السبيل

٣ اصل السن

قال ابن بطوطة في الصفحة ١٠٧ من الجزء الثاني من رحلتهِ يصف الكَرخ وهو الجانب الغربيّ من بغداد ما هذا نصُّهُ بحرفهِ:

« ومن هذه المحلّات (اي محلات الكرخ) محلّة باب البصرة وبها جامع الخليفة ابي جعفر المنصور رحمهُ الله. والمارستان [العَضُديّ] فيما بين محلّة باب البصرة ومحلّة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خَرِبٌ بَقِيَت منهُ الآثار. وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر مَعْروف الكرخيّ رضه وهو في محلة باب البصرة » اه المقصود من ايرادهِ

فباب البصرة يُعرف اليوم بباب الشيخ (بكسر الاول وسكون الثاني) لان قبر الشيخ معروف الكرخي مجاور للمحلّة المذكورة واما محلّة الشارع فهي قريبة من محلة باب البصرة. وكان جامع الخليفة قريباً من قصرهِ المشهور بالخُلد على ما هو مدوّن في كتب التاريخ. وعلى أطلال الخلد كان قد بنى عضدُ الدولة فنّا خسرو ابو شُجاع بن رُكن الدولة ابي الحسن عليّ بن بُوَيهِ (١ البيمارستان المسمّى بالعضدي وذلك سنة ٣٦٨ هـ. (٩٧٨م) وهو الذي كان قد أذن في تلك السنة عينها لكاتبهِ النصرانيّ نصر بن هرون في عمارة البيَع والاديرة واطلاق الاموال لفقراء المسيحيين ومحاويجهم

١) اصل ضبط كلمة بُوَيْه بتشديد الواو المفتوحة وابقاء الباء وضمتها والياء وسكونها. ثم خفّفها العرب فقالوا بُوَيه كزُبَير ومنهم من بُوَيْه بضم الباء واسكان الواو وفتح الياء. والكلمة مركبة من « بُوْ » وهي لفظة فارسيّة معناها جوز بوّا. و « وَيه » ومعناهُ بالفارسيّة ايضاً رائحة فيكون معنى الاسم المنحوت « رائحة جوز بوّا » ومثل هذه الاسماء عندهم كثير منها سيبويه ونفطويه وبرزويه وخالويه

وعليه فيكون السنّ من بقايا قصر الخلد او البيمارستان العضديّ. قال ياقوت في معجمه في مادّة الخلد ما هذا حرفهُ:

(الخُلْد) بضم اولهِ وتسكين ثانيهِ. قصر بناهُ المنصور امير المؤمنين ببغداد بعد فراغهِ من مدينتهِ على شاطئ دجلة في سنة ١٥٩ هـ. (٧٧٥م)

وزاد صاحب التاج زوائد ترجع الى ما قالهُ ياقوت:

« وكان موضع البيمارستان العضدي اليوم او جنوبيّهُ. وبُنيت حوالَيهِ منازل فصارت محلّة كبيرة عُرفت بالخلد. والاصل فيها القصر المذكور وكان موضع الخلد قديمًا ديرًا فيهِ راهب وانما اختار المنصور نزولهُ وبنى قصرهُ فيهِ لطِيب البقّ (اي البعوض لا الفساقس) وكان عذبًا (١ طيب الهواء لانهُ أشرف المواضع التي ببغداد كلها (اي اعلاها كما هو الواقع الى يومنا هذا) اه.

وقال ياقوت في مادّة بغداد:

« فاتى (المنصور) موضع بغداد وهو موضع قصر السلام (٢ (وهو غير قصر الخلد) ثم صلّى العصر وذلك في صيف وحرّ شديد وكان في ذلك الموضع بيعة (بجوار دير لراهب هناك) فبات لطيب مبيتٍ واقام يومهُ فلم يرَ الّا خيرًا فقال هذا موضع صالح للبناء » اه

وقال بُعَيد ذلك:

[ورُوي] عن عليّ بن يَقطين قال: كنت في عسكر ابي جعفر المنصور حين سار الى الصراة يلتمس موضعًا لبناء مدينة قال: فنزل الدَّير (وكان فيهِ كنيسة او بيعة واجمة اليوم على ما هو مشهور عند النصارى) الذي على الصراة في الشيقة (وكان يدفع ماءهُ في دجلة والصراة من اخر دجلة المحفورة) فما زال على دابّتهِ ذاهبًا جائيًا منفردًا من الناس يُفكّر. قال: وكان في الدير راهب عالم (٣ فقال لي: لمَ يذهب الملك (٤ ويجيء.. قلت: انهُ يريد ان يبني مدينة ».. الى آخر الرواية

---

١) هكذا موجود في النصّين المطبوعين وكلاهما غلط والاصح « وكان عَذِيًا » بياء مثناة تحتيّة بعد الذال المعجمة والمكان العذي هو الطيّب

٢) قصر السلام هو ايضًا غير قصر السلامة. فقصر السلام من ابنية الرشيد بن المهدي بناه بالرقّة رقّة بغداد في الجانب الغربي من المدينة. واما قصر السلامة فكان بناهُ المهدي سنة ١٦٤ في عيساباذ الكبرى اي في الجانب الشرقيّ. واوّل ما بناهُ في عيساباذ قصر من لَبِن الى ان اسس قصرهُ الذي بالآجرّ وكان تأسيسهُ اياه يوم الاربعاء في آخر ذي القعدة وتحوّل اليهِ المهدي سنة ١٦٦ هـ. (٧٨٢م) فلمّا نزلهُ نزل الناس بعيساباذ حوالي القصر فعمرت وبعيساباذ ضرب المهدي الدنانير والدراهم (من الطبري ٣: ٥٠٣ و ٥١٧)

٣) اسمهُ ببغداد كما يشهد بذلك ابن الخازن وابن السيد المكين والسمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة في المجلد الثالث في القسم الاوّل في الصفحة ٦٨

٤) وفي الاصل المطبوع: كم يذهب الملد. وهذا لا معنى لهُ وهو من التصحيف الشنيع. وكذا ايضًا ورد مصحّفًا في طبعة معجم ياقوت المصريّة الجديدة

٣ دار سكنى البرامكة

واذ قد عرفنا موقع قصر الخلد . وان البيمارستان العضدي قد بُنيَ على معالمه وان السنّ هو الباقي من تلك المباني الملكية سهل علينا ان نعرف موقع دار سكنى البرامكة ثم موقع قصرهم وهذا هو غير دار سكناهم الأصلي . فنقول :

ذكر ابن الطقطقي في الفخري (في ص ٢٨٧ من طبعة ه . درنبورغ) ما هذا صورتهُ :

« حدث بختيشوع الطبيب قال : دخلت يوماً على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام وكان البرامكة يسكنون بمذاتهِ في الجانب الآخر (الجانب الشرقي او الرصافة) وبينهم وبينهُ عرض دجلة . قال : فنظر الرشيد فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد . فقال . جزى الله يحيى خيراً تصدّى للامور واراحني من الكدّ ووفّر اوقاتي على اللذّة . ثم دخلتُ اليهِ بعد اوقات وقد شرع يتنيّر عليهم فرأى الخيول كما رآها تلك المرة . فقال : استبدَّ يحيى بالامور دوني فالخلافة على الحقيقة لهُ وليس لي منها الّا اسمُها . قال : فعلمتُ انهُ سيكيم ثم نكبهم عقيب ذلك ». اه حرفهُ

فهذا نصٌّ واضح جليّ على ان دار سكنى البرامكة كان بازاء الخلد في الجانب الشرقيّ من البلدة . لا في الجانب الغربيّ . واما ما جاء في كتاب اعلام الناس للاقليدي (ص ١٣١) من طبعة محمد الزهريّ الغمراوي ففيهِ غلط من الناسخ فقد جاء هناك ما هذا منطوقهُ :

« [قال اسماعيل بن يحيى الهاشميّ : بكرتُ الى الرشيد] وجلست بين يديهِ وكان في محلّ يشرف على الدجلة من شرقيّ مدينة باب السلام (١ وبازائهِ منزل جعفر من الجانب الغربيّ . . . الى آخر الرواية

والاصح «من الجانب الشرقي» والغلط من الناسخ لا من المؤلف وذلك ان الناسخ لمّا رأى ان المكان الذي كان يشرف على دجلة واقعاً شرقي مدينة باب السلام توهم ان ما يكون بازائهِ يكون غربيهُ والحال ان المؤلف في الاوّل يتكلّم بالنسبة الى مدينة باب السلام وفي الثاني يتكلّم بالنسبة الى دجلة . وكما اننا رأينا ان ياقوت والفخري يقولان ان دار سكنى البرامكة كانت في الجانب الشرقي من دجلة ظهر هنا خطأ الناقل او الناسخ فاحفظهُ

٤ قُصور البرامكة

ما عدا دار السكنى كان للبرامكة عدّة قصور وكلها كانت بالجانب الشرقي من

(١ مدينة السلام هي المدينة المدوّرة المستديرة الشكل التي بناها الخليفة المنصور والخلد كان فناؤا في شرقي مدينة باب السلام

المدينـــة اي بالرُصافة ولم يكن لهم قصر واحد في الكَرخ اجلالًا لمقام الخلفاء . واول قصورهم كان التاج. قال ياقوت في ما ذكره في هذه المادة:

« كان اول ما وُضع من الابنيـــة جذا المكان قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وكان السبب في ذلك ان جعفر كان شديد الشغف بالشرب والغناء والتهتُّك فنهاهُ ابوهُ يحيى فلم ينتهِ. فقال: ان كنت لا تستطيع الاستتار فاتخذ لنفسك قصرًا بالجانب الشرقي واجمع فيهِ ندماءك وقيانك وقضِّ فيهِ معهم زمانك وابعد عن عين من يكره ذلك منك. فعمد جعفر فبنى بالجانب الشرقي قصرًا موضع دار الخلافة المعظمة اليوم واتقن بناءهُ وانفق عليهِ الاموال الجمّة . . . » اه

ويُظن ان بقايا التاج تُرى الى اليوم وهي القلعة التي تُستودع فيهـــا المدافع وما يرجع من الادوات الى الجنود الحربيين

ثم لما اخذ الخلفاء هذا القصر ابتنى لـــهُ جعفر قصرًا آخر بالرصافة ايضًا لكن في اعلاها . اعني في جوار الشمّاسية التي تسمّى اليوم السُلَيخ . وهـــذا ما يؤخذ من كلام الطبري. (٣: ١٧٣٠) الذي يذكر هناك قصرًا لجعفر المذكور . والى اليوم يُشاهد في السُلَيخ (والعامة تقول الصُلَيخ بالصاد) آثار لهذه الابنية القوية

وكان للفضـــل بن يحيى البرمكي قصر في سُوَيقة خالد بباب الشمّاسية لسمهُ : « قصر الطين » وقد خرب اتمّ الخراب فلا يُعرف لـــهُ موضع . راجع ياقوت في سُوَيقة خالد . وقد تمّ خرابهُ سنة ٢٥١ هـ. (٨٦٥م) على ما ذكرهُ الطبري (٣: ١٥٦١) حين أمر محمد بن عبدالله الصريخ بجعل الآجرّ من هذا القصر ونواحيهِ الى باب الشمّاسيّة وهذا القصر كان قد بناهُ يحيى لابنهِ الفضل . قالهُ ياقوت ايضًا في مادّة « قصر الطين »

وربما كان لهم غير هذه القصور (١ . وعدم الوقوف عليها وعلى اسمائها لا يُعدّ من القصور . لان علم المرء محصور . وعلم ربّك يفوق كل ما في الصدور . والسلام

---

١) مثلًا انهُ كان للبرامكة محلّة منسوبة باسمها وهي : « البرامكة او البرمكيّة » فلا جرم ان البرامكة بنوا فيها اولًا قصرًا ثم بنى الناس حولهُ المباني فتألف من ذلك محلّة كبيرة . وقيل انها كانت قرية قريبة من بغداد . راجع معجم ياقوت في هذه المادة . كما انهُ كان لهم سُوق يُعرف باسم « سوق يحيى » وقد حدث السوق بعد ان انشأ فيهِ يحيى قصرًا . وكان ايضًا بالجانب الشرقي بين الرصافة ودار المملكة التي كانت عند جامع السلطان بين بـــابين الزاهر على شاطئ دجلة وكانت اقطاعًا لهُ من الرشيد ثم صارت بعد البرامكة لامّ جعفر ثم اقطعها المأمون طاهر بن الحُسين بعد الفتنة ثم خربت عند ورود السلجوقيّة الى بغداد . فلم يبقَ منهـــا اثر البتة . وهي محلّة ابن الحجّاج الشاعر . وقد اكثر من ذكرها في شعرهِ . راجع ياقوت في سوق يحيى